

# شعر الأسيء

بين أبي فراس الحمداني  
والمعتمد بن عباد

الأستاذ الدكتور / محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

أستاذ الأدب والنقد وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين الأسبق

جامعة الأزهر - القاهرة

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

## مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبع طريقه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فالأسر محنة تنصهر فيها النفس الإنسانية ، وغالبا ما تظهر على حقيقتها بعيداً عن الزيف والادعاء ، وتتميز في هذه المحنة معادن الرجال ، فمنهم من تنهار قواه ، فيندب حاله ، ويبكي نفسه ، ويعلن عن حسرته وأساه ، وقد يضعف فسيتعطف ويستجدي الحرية والعفو ، ومنهم من يظل أيباً شامخاً قويا ، لا تلين له قناة ، ولا تنحني له هامة.

فشعر الأسر يكشف عن أغوار النفس الإنسانية ، ولاسيما النفوس الكبار كنفس أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد ، وغالبا ما يعبر هذا الشعر عن تجربة صادقة ، بل تجربة عميقة متفردة تنبثق من عمق المعاناة التي يعيشها الشاعر في أسره.

وقد اخترت في تناولي لهذه التجربة الشعرية اثنين من أعلام الشعر العربي ، هما: أبو فراس الحمداني ، والمعتمد بن عباد.

أما أبو فراس فارس بني حمدان فقد جاءت روميته صورة لمأساته ، أطلعنا فيها على عمق معاناته ، وجعلنا نعيش معه هذه التجربة التي انعكست بوضوح على شعره ، ولاسيما أنه قد نفعها نفحة عاطفية قوية وعميقة وصادقة ، بل متفردة في توهجها وعنقوانها ، ولا نبالغ إذا قلنا : إن أبا فراس استمد مكانته الشعرية وسجل اسمه بارزاً في تاريخ الشعر العربي من خلال شعره في الأسر.

وأما المعتمد بن عباد خاتمة ملوك الطوائف فهو واحد من أعلام الشعر الأندلسي ، ومن أبرز ملوك الطوائف ، إن لم يكن أبرزهم جميعاً ، وقد شكل سقوط دولته مرحلة فاصلة في تاريخ الأندلس بصفة عامة ، وفي حياته هو بصفة خاصة ، فقد دارت عليه دائرة الزمن ، فحولت عزه ذلاً ، وغناه فقراً ، وحرية أسرّاً ، مع ما كبّلت به من القيود والأغلال ، واليأس وفقدان الأمل.

وقد اعتمل ذلك كله فى نفسه الشاعرة ، فجاءت تجربته الشعرية فى الأسر محملة بكل هذه التقلبات ، معبرة عن معاناته وما آل إليه حاله ، وتنكر الأيام له ، وقسوتها عليه ، فى عاطفة مستكينة هادئة ، وفكرة واضحة تغمرها روح الحكمة والعقل .

وقد حاولت أن أكشف عن بعض أغوار النفس الإنسانية ، وانعكاس الحالة النفسية على التجربة الشعرية من خلال تناولي لشعر الأسر عند هذين الشاعرين الكبيرين .

ويأتي البحث فى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

أما التمهيد فيتناول مفهوم الأسر فى اللغة والاصطلاح ، والفرق بينه وبين الحبس والسجن .

وأما المبحث الأول فمهاده تاريخي حول ترجمة الشاعرين .

وأما المبحث الثانى فيتناول تجربة الشاعرين فى مواجهة الأسر ومعاناته النفسية .

وأما المبحث الثالث فيتناول أثر الأسر فى تشكيل أغراضهما الشعرية .

ثم تأتي الخاتمة لتلخص أهم نتائج البحث ، ويعقبها فهرس لأهم مصادره .

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت ، والله من وراء القصد ، وهو مولانا فنعم المولى ونعم

النصير .

أ. د / محمد مختار جمعة مبروك

عميد كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين بالقاهرة الأسبق



وظل هذا الترادف اللغوي بين الأسر والحبس والسجن ملحوظا من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي ، فلما جاء العصر العباسي أخذت لفظة أسير تختص بالذين يؤخذون حربا ، والسجين أو الحبيس بمن تعتقله السلطة<sup>(١)</sup>.

## ثانيا : في الاصطلاح :

يمكن من خلال الإشارات التي وردت في بعض المعاجم وفي كتب التفسير والحديث والفقهاء أن نعرف الأسر بأنه : أخذ بعض الناس على سبيل الغلبة والقهر في حرب أو نحوها.

والأسير : هو المأخوذ قهراً في حرب أو نحوها ، وجمعه أسرى وأسارى ، وعليه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وعليه حديث السيدة عائشة (رضي الله عنها) : " لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة (رضي الله عنها) أدخلتها بها على أبي العاص ، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها ، قالوا : نعم"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر : الأسر والسجن في شعر العرب : تاريخ ودراسة د/ أحمد مختار البزرة ص ٢٤ ، ٢٥ ط مؤسسة علوم القرآن دمشق ، بيروت سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م الطبعة الأولى ، ويدعم ذلك استقراء التطور الدلالي للكلمة.

(٢) الأنفال : آية (٧٠).

(٣) البقرة : جزء من الآية (٨٥).

(٤) الأحزاب : جزء من الآية (٢٦).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الجهاد ، باب في فداء الأسرى بالمال عن السيدة عائشة (رضي الله عنها).

## المبحث الأول التعريف بالشاعرين

### أ – أبو فراس الحمداني :

هو أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ، ولد بالموصل سنة عشرين وثلثمائة من الهجرة ، وقيل : سنة إحدى وعشرين وثلثمائة<sup>(١)</sup>.

ونشأ أبو فراس يتيماً ، إذ قتل والده أبو العلاء على يد ابن أخيه ناصر الدولة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة<sup>(٢)</sup> ، فعنيت به أمه وابن عمه سيف الدولة الحمداني الذي تعهده صبياً ، فدفع به إلى بعض المدرسين يدرّبونه على الفروسية ، وإلى بعض المعلمين والمؤدبين وفي مقدمتهم العالم اللغوي ابن خالويه ، وسرعان ما ظهرت فروسية أبي فراس ونجابته وتفننت شاعريته ، فولاه سيف الدولة على منبج ، وأقطعه ضيعة كبيرة بها ، وهو لا يزال شاباً في السادسة عشرة من عمره<sup>(٣)</sup>.

وكانت منبج حصناً منيعاً لحلب ، وكان على الأمير الشاب أن يدفع عنها هجمات الروم وغاراتهم ، وأن يعمل على إخضاع القبائل المناوئة لابن عمه أو الثائرة عليه ، فأبلى بلاءً حسناً في مقارعة الأبطال ومنازلة الخطوب ، وكشف عن فروسية عجيبة وعقلية نادرة ، وهو لا ينفك – في أثناء ذلك – ينظم الشعر ، وينثر الدر في مكاتباته لسيف الدولة<sup>(٤)</sup>. فازداد إعجابه به ، وصار يميزه بالإكرام على سائر قومه ، ويستحبه في غزواته ، ويستخلفه في أعماله<sup>(٥)</sup>.

وقد أسرت الروم في إحدى غاراتها على منبج ، وكانوا قد تربصوا به ، وبأغتوه وهو عائد من الصيد مع أصحابه ، ولمّح له أصحابه بالفرار ، بل فر معظمهم عنه ، لكن نفسه الأبية التي تعودت الكر والإقدام أبت النقيصة ، واختارت الموت على الفرار ، فقاتل الفارس الحمداني قتال الأبطال حتى أثخنته الجراح ، وأصابه سهم بقي نصله في فخذه ، فوقع في الأسر غير آل ولا مقصر في قتال أعدائه<sup>(٦)</sup>.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج٢ ص ٥٨ ، ٦١ تحقيق إحسان عباس ط دار صادر بيروت سنة ١٩٧٠م.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٦١.

(٣) انظر : عصر الدول والإمارات (مصر – الشام) د/ شوقي ضيف ص ٧٠٧ ط دار المعارف سنة ١٩٨٤م.

(٤) انظر : تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ص ٦٤٧ المطبعة البوليسية بيروت.

(٥) انظر : بيتيمة الدهر للثعالبي ج١ ص ٥٧ تحقيق د / مفيد قميحة ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٦) راجع : بيتيمة الدهر ج١ ص ٦٠ ، ٦١ وفيات الأعيان ج٢ ص ٥٨ ، وعصر الدول والإمارات (مصر – الشام) د / شوقي ضيف ص ٧٠٧ ،

٧٠٨ ومقدمة ديوانه ص ٦ ط دار صادر بيروت.

وأبياً أو تباطاً سيف الدولة في فدائه لأسباب يختلف الكتاب في أمرها: فمنهم من يرى أن ولاية حلب كانت تتعرض في أواخر أيام سيف الدولة لضغط عسكري شديد من قبل الروم مما جعله يدخر من عنده من رجالات الروم لساعة العسرة ، فلم يتعجل الفداء ولم يبادر إليه<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يرى أن سيف الدولة كان يريد فداء عاما لكل أسرى المسلمين ، لكن الأوضاع الاقتصادية لم تكن في صالحه ، إذ كان إنفاق سيف الدولة على الجهاد والتسلح يكلف ولاية حلب الصغيرة أعباء مالية ضخمة ، فلم يكن في وسعه أن يبادر إلى الفداء ، فلما تهيأت له الظروف المواتية بادر إليه<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من يرى أن سيف الدولة تباطأ في فداء أبي فراس حين خوّفه بعض المقرّبين إليه من طموحه وشدة اعتداده بنفسه ، وأنه شكل خطراً على سيف الدولة نفسه<sup>(٣)</sup>.

وأرى أنه لا مانع من أن تكون هذه الأسباب مجتمعة قد جاشت في نفس سيف الدولة ، فأدت إلى تباطئه في فداء أبي فراس.

أما الذي لا خلاف عليه فهو أن المحنة قد صقلت تجربة أبي فراس وألهمت مشاعره ، فنضح روميّاته نفحة عاطفية قوية بوأته مكاناً متميزاً بين شعراء عصره ، وسجلت اسمه بارزاً بين أعلام الشعر العربي حتى قالوا : بدئ الشعر بملك وختم بملك ، يريدون بذلك امرأ القيس وأبا فراس الحمداني<sup>(٤)</sup>.

وتم فداء أبي فراس سنة ٣٥٥ هـ في مفاداة عامة بعد سبع سنوات قضاها في أسره ، فعاد إلى حلب ، وولاه سيف الدولة على حمص ، غير أن الأجل لم يمهل سيف الدولة سوى عام واحد بعد فداء أبي فراس ، فخلّفه ابنه أبو المعالي ، وتسلم الحكم بالوصاية عليه غلامه التركي قرغويه ، فعز على أبي فراس أن يطيع هذا الغلام، وسولت له نفسه الخروج عليه واقتطاع حمص لنفسه ، فأرسل أبو المعالي غلامه قرغويه لمحاربتة في معركة دارت قرب حمص ، وانتهت بجرح أبي فراس وقتله سنة ٣٥٧ هـ<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر : الأسر والسجن في شعر العرب د/ أحمد مختار البزرة ص ٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٨٧ ، وانظر : عصر الدول والإمارات ( مصر – الشام ) د / شوقي ضيف ص ٧٠٨.

(٣) انظر : تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ص ٦٤٨.

(٤) انظر : يتيمة الدهر للثعالبي ج١ ص ٥٧.

(٥) راجع في ذلك : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦١ ، وعصر الدول والإمارات "مصر – الشام" د/ شوقي ضيف ص ٧٠٨ ، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ص ٦٤٨ ، ومقدمة ديوانه ص ٦ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج ٢ ص ٩٢ ترجمة د/ عبد الحلّيم النجار ط دار المعارف ١٩٧٧م الطبعة الرابعة.

## ب – المعتمد بن عباد :

هو أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، كان يلقب بالمعتمد على الله ، وكان والده عباد يلقب بالمعتضد بالله ، وجده محمد يلقب بالظافر المؤيد بالله ، وينتمي نسبهم إلى ولد النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة<sup>(١)</sup>.

ولد المعتمد في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة<sup>(٢)</sup> وقيل : سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة<sup>(٣)</sup> ، والأول أرجح ؛ إذ يدعمه ما روى من أنه حين تولى الملك كان ابن تسع وعشرين سنة وشهرين وأيام زائدة<sup>(٤)</sup> ، وقد كان توليه للملك بعد وفاة والده المعتضد في جمادى الأولى سنة إحدى وستين وأربعمائة<sup>(٥)</sup>.

وقد قامت دولة بني عباد في إشبيلية سنة ٤١٤هـ على يد أبي القاسم محمد بن إسماعيل جد المعتمد ، ثم اتسعت فاستولت على ملك بني حمود بالجزيرة سنة ٤٥٠هـ ، وعلى ملك بني جهور في قرطبة سنة ٤٦١هـ ، وامتدت حتى شملت مرسية في الشرق ، وأصبح بنو عباد في عهد المعتضد وابنه المعتمد أعظم ملوك الطوائف ، وأفسحهم ملكا ، وأبعدهم صيتا ، وأكثرهم ذكراً في التاريخ والأدب<sup>(٦)</sup>.

وكان المعتمد ملكاً شجاعاً ، زائع الصيت في الكرم والسخاء ، مغدقا على الأدباء والشعراء ، مقربا لهم ، حتى قيل إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه<sup>(٧)</sup> ، مما كان له أثره الواضح في ازدهار الأدب بمملكته ، وفي وفائهم له إبان محنته<sup>(٨)</sup>.

---

(١) راجع في أخباره : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام المجلد الأول / القسم الثاني ص ٤١ تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ج ٢ ص ١١٠٤ ط المطبعة الأميرية سنة ١٢٧٩هـ ، والحلة السيرة لابن الأبار ج ٢ ص ٣٤ تحقيق حسين مؤنس ط دار المعارف سنة ١٩٨٥م الطبعة الثانية ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٢١ ، ومراة الجنان لليافعي ج ٣ ص ١٤٧ نشر مؤسسة الأعلام بيروت سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م الطبعة الثانية ، والعبر في خبر من غير للذهبي ج ٢ ص ٣٥٨ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٢) الحلة السيرة لابن الأبار ج ٢ ص ٥٣.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣ ، وانظر : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧.

(٤) الحلة السيرة ج ٢ ص ٥٣.

(٥) الحلة السيرة ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٤.

(٦) راجع : عصر الدول والإمارات ( الأندلس ) د / شرقي ضيف ص ٣٦ ط دار المعارف سنة ١٩٩٩م ، والمعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ د/ عيد الوهاب عزام ص ٧ دار المعارف سنة ١٩٧٦م.

(٧) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٤.



وكان المعتمد إلى جانب ما عرف به من الشجاعة والإقدام والأريحية للعطاء - معروفاً بحسن المعاشرة ، ولين العريكة لأصحابه ، وفيما ، صبوراً على الملمات<sup>(٢)</sup> ، غير أن بعض الكتاب يأخذون عليه انغماسه في الخمر ، وإسرافه في اللذات<sup>(٣)</sup> .

وكان المعتمد شاعراً مجيداً ، رقيق الطبع ، مرهف الحس ، وهو -بلا شك- أشعر ملوك الأندلس ، يقول ابن الأبار : "ولم يك في ملوك الأندلس قبله أشعر منه ولا أوسع مادة"<sup>(٤)</sup> .

ويقول ابن بسام : وللمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صدر مثله عمّن جعل الشعر صناعة ، واتخذة بضاعة ، لكان رائعاً معجباً ، وندراً مستغرباً ، فما ظنك برجل لا يُجدُّ إلا راثياً ، ولا يجيد إلا عابثاً؟ وهو مع ذلك يرمي فيصيب ، ويهمني فيصوب .

والعجب من المعتمد أنه مرى سحابه في كلتا حالتيه فصاب ، ودعا خاطره فأجاب ، ولا تراجع له من طبع ، بل يومه في هذا الشأن دهر ، وحسنته في هذا الديوان عشر<sup>(٥)</sup> .  
ولعل أهم ما يميز شعر المعتمد هو أنه كان صورة واضحة لحياته في حالي نعيمه وبؤسه ، فما لبس الرجل غير ثوبه ، ولا تجشم غير طبعه .

أما محنة المعتمد وزوال ملكه ودولة ملوك الطوائف جميعاً ، فمردها إلى أمرين أساسيين .  
أحدهما : ما آل إليه حال ملوك الطوائف من الفرقة والاختلاف ، والتنافس بل التنافر على الملك والسلطان ، إلى الحد الذي استعان فيه بعضهم بنصارى الأندلس على قتال إخوانه المسلمين في حين وحد النصارى صفوفهم ، وأخذوا يستردون المدن الواحدة تلو الأخرى من ملوك الطوائف ، واضطر ملوك الطوائف بما فيهم المعتمد بن عباد إلى دفع الجزية إلى فرناندو الأول ملك قشتالة وليون ، ثم إلى ابنه ألفونسو السادس ، غير أن ألفونسو كان طاغية يشتت في مطالبه وإذلاله لملوك الطوائف ، فلم يجدوا بدا من الاستعانة بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، فتمكنوا بمساعدته من هزيمة جيوش الفرنجة في موقعة الزلاقة ، لكن يوسف

---

(١) راجع الذخيرة لابن بسام م (١) ق (٢) ص ٧٧ وما بعدها .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) انظر : الحلة السيرة لابن الأبار ج ٢ ص ٥٤ ، والمعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ١٣٦ ط وزارة الثقافة بالقاهرة (سلسلة أعلام العرب : العدد الثاني).

(٤) الحلة السيرة ج ٢ ص ٥٤ .

(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة م (١) ق (٢) ص ٤١ ، ٤٢ .

سرعان ما انتقض عليهم ، وضم ممالكهم الواحدة تلو الأخرى إلى سلطانه ، منهيًا بذلك عصر ملوك الطوائف ، ومؤسسًا لدولة المرابطين بالأندلس<sup>(١)</sup>.

الأمر الآخر: إسراف ملوك الطوائف في شهواتهم وملذاتهم ، وانتشار مجالس اللهو والخمر والغناء ، الأمر الذي تكثر معه الغفلة ، وتفتر فيه الهمم ، وتكل العزائم.

فبعض الكتاب يأخذون على المعتمد ولعه بالخمر ، وانغماسه في الملذات<sup>(٢)</sup> ، ويرون أن ميل المعتمد إلى جانب اللهو ، وإطلاقه العنان لنسائه وشعرائه كان مثار سخط عليه ، فقد بالغ بعض نسائه في الإسراف والتدلل ، وهام بعض شعرائه المقربين كعبد الجليل بن وهبون في ملذاتهم وشهواتهم إلى درجة بلغت حد الخلاعة والمجون<sup>(٣)</sup> ، مما أثار حفيظة العلماء والفقهاء ، وجعلهم يفتون بجوار خلع ملوك الطوائف جميعاً ، فتذكر بعض المصادر أن يوسف بن تاشفين عندما عزم على خلع ملوك الطوائف وتدبير أمر الأندلس أراد أن يستوثق من حكم الشرع في ذلك فاستفتى العلماء والفقهاء ، فأفتوه بجواز خلع هؤلاء المترفين وقتالهم إن امتنعوا جمعاً لكلمة المسلمين وتقوية لهم على الجهاد ، وأن سير بن أبي بكر قائد المرابطين بالأندلس أرسل إلى ابن تاشفين يخبره بإيثار ملوك الطوائف الدعة واللهو ، واحتمال المرابطين العناء في جهاد العدو ، وسأله رأيه في هؤلاء الملوك ، فكتب إليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض العدو ، فمن فعل فذاك ، ومن أبى فحاصره وقتله ، ولتبدأ بمن والى الثغور ، ولا تتعرض للمعتمد بن عباد إلا بعد استيلائك على البلاد ، فأخذ سير يستولي على قلاعهم وحصونهم إلى أن انتهى الأمر بحصار المعتمد وأسره ، وانتهاء أمر ملوك الطوائف جميعاً ، وقيام دولة المرابطين بالأندلس.

وحمل المعتمد ومن كان معه من أهل بيته إلى طنجة فبقوا بها أياماً ، ثم نقلوا إلى مدينة مكناسة فأقاموا بها شهراً إلى أن صدر الأمر بنقلهم إلى مدينة أغمات على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة مراكش. وفي أغمات بقى المعتمد أربع سنوات منكفئاً على همومه وأحزانه وقيوده إلى أن وافته منيته سنة ٤٨٨هـ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) راجع الذخيرة لابن بسام: م (١) ق (٣) ص ٣٣ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ص ٢٧ وما بعدها ، والمعتمد ابن عباد لعبد الوهاب عزام ص ٣٣.

(٢) الحلة السيرة لابن الأبار ج ٢ ص ٥٤.

(٣) انظر: نوح الطيب للمقري ج ٢ ص ١١٨٦ ، والمعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ١٣٦.

(٤) راجع: وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨ ، والذخيرة لابن بسام م (١) ق (٢) ص ٥٦ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧ ، ص ٢٤٨ ط دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، والعبر في خبر من غير للذهبي ج ٢ ص ٣٥٨ ، والمعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ٣٠٦ ، والمعتمد بن عباد لعبد الوهاب عزام ص ٥٧.

## المبحث الثاني مواجهة الأسر ومعاناته النفسية بين الشعراء

### أ – الشاعران في مواجهة المحنة :

لاشك أن الأسر أمر جد ثقيل على النفس ، وذلك للمجهول الذي ينتظر الأسير وراءه ، بل إن كثيراً من المقاتلين ليرون القتل أهون من الأسر ، وقد سئل أحد الحكماء : هل تجد شيئاً أشق على النفس من الموت؟ فقال : نعم ، أن تتمنى الموت فلا تجده ، وكثيراً ما يتمنى الأسير الموت فلا يجده ، غير أن الحر الأبى يابى الفرار على أية حال ، حتى لو أدى به ثباته إلى القتل أو الأسر.

ولم يؤسر أبو فراس أو المعتمد عن كلاله أو ضعف ، إنما أسر كل منهما بعد أن ألقى على الموت بنفسه ، ودافع دفاع الليوث عن عرينها ، وهو ما يعبر عنه المعتمد ابن عباد بقوله<sup>(١)</sup> :

قد رمت يوم نزالهم	ألا تحصنني الدرور
وبرزت ليس سوى القميـ	ص على الحشا شيء دفعوع
وبذلت نفسي كي تسـ	يل إذا يسيل بها النجيع
أجلي تآخر لم يكن	بهواي ذلي والخضوع
ما سرت قط إلى القتا	ل وكان من ألمي الرجوع <sup>(٢)</sup>
شميم الأولى أنا منهم	والأصل تتبعه الفرور

فواضح من الأبيات أن المعتمد كان قد يئس من النجاة ، وانقطع به الأمل ، فلم يجد من الإقدام بدا ، فبرز للقتال حاسراً مجرداً من دروعه ، لم يلبس سوى قميصه الذي أرادته كفناً لنفسه ، ودفع بنفسه إلى الموت دفاعاً ، لأنه كان يقدر سوء المصير الذي ينتظره ، لكن أجله تأخر ، وهذا ما لا دخل له فيه ، وحسبه أنه ما سار قط إلى القتال وكان من أمله الرجوع ، وتلك شيمة آباءه وأجداده ، والأصل تتبعه الفرور.

أما أبو فراس فقد لامه بعض الناس ، وخطأوا رأيه في الثبات يوم أسر ، وقالوا لم يكن من الحكمة أن يقاتل ألفاً من الروم في سبعين رجلاً انكشف معظمهم عنه ، فقال<sup>(٣)</sup> :

تكاثر لوامي على ما أصابني      كأن لم تكن إلا لأسري النوائب

(١) ديوانه ص ٨٨ ط المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥١ م ، والذخيرة م ١ ق ٢ ص ٥٣ .

(٢) في هذا المعنى يقول قيس بن الخطيم :

واني في الحرب الضروس موكل      بتقديم نفس لا أريد بقاءها

ومعنى قيس أبلغ فإذا كان المعتمد يخرج ولا أمل له في الرجوع فإن ابن الخطيم يقدم نفساً لا يريد بقاءها ، وله فضل السبق على المعتمد.

(٣) ديوانه ص ٣٦ ط دار صادر بيروت.

ومثلي من تجري عليه العواقب

كذاك سليب بالرماح وسالب<sup>(١)</sup>

مواقف تنسى دونهن التجارب

إذ الموت قدامي وخلفي المعاييب

لأجهضني بالذم منهم عصائب<sup>(٢)</sup>

حسود على الأمر الذي هو عائب

يقولون : لم ينظر عواقب أمره

ألم يعلم الدُّلانُ أن بني الوغى

وإن وراء الحزم فيها ودونه

أرى ملء عيني الردى فأخوضه

وأعلم قوما لو تتعتعت دونها

ومن شرفى أن لا يزال يعيبني

ويقول<sup>(٣)</sup> :

فقلت : هما أمران أحلاهما مر

وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

فقلت : أما والله ما نالني خسر

إذا ما تجافى عني الأسر والضر؟

فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر

وقال أصيحابي الفرار أو الردى

ولكنني أمضي لما لا يعيبني

يقولون لي : بعث السلامة بالردي

وهل يتجافى عني الموت ساعة

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره

وحين نوازن بين موقف أبي فراس والمعتمد ساعة الأسر نجد أن المعتمد لم يكن لديه ما يُبقي عليه ، فقد أحس بأنه فاقد كل شيء لا محالة ، واستشعر أن الموت بعز خير من حياة الذل والهوان ، فلم نلاحظ في شعره أدنى تردد أو ندم على موقفه ، بل إن كان من ندم فعلى تأخر أجله ، وعدم دنو ساعته.

أما أبو فراس فمع أنه قاتل الأبطال ، وألقى على الأعداء بنفسه ، فإن رغبته في الموت لم تكن كرجبة المعتمد ، إنما ثبت خشية العار ، فأثر التي فيها منيته على التي فيها ذمه ومنقصته ، وقد كان يقدر أن وراءه حساداً شائئين لو أحجم أو نكص لأشبعوه لوما ، وأوسعوه ذماً ، ونسبوه إلى الضعف والخور ، واتهموه في شجاعته وفروسيته ، وربما في ولائه لسيف الدولة ، وفي ذلك يقول أبو فراس<sup>(٤)</sup> :

(١) الدلان : الذليل المهان.

(٢) تتعتعت : تفلقت أو اضطربت ، والمراد لو حاولت الفرار أو هممت به.

(٣) ديوانه ص ١٦٠.

(٤) ديوانه ص ٨٥.

ولو لم تنل نفسي ولاءك لم أكن

لأوردها في نصره كل ———ورد

ولا كنت ألقى الألف زُرْقا عيونها

بسبعين فيها كل أشأم أنكد

على أن هؤلاء الحساد مع استنكارهم لموقفه ، وتخطئتهم لرأيه فإنهم ليحسدونه على الأمر الذي

يعيبونه به .

وقد رضي أبو فراس لنفسه أن يقال عنه: "غير موفق" لكنه لم يقبل أن يقال عنه: "غير نجيب"

يقول<sup>(١)</sup>:

تجشمت خوف العار أعظم خطة

وأملت نصراً كان غير قريب

رضيت لنفسي كان غير موفق

ولم ترض نفسي كان غير نجيب

ولا يخفى ما في قوله : "تجشمت" من إكراهه نفسه على القتال وحملها عليه حملاً ، مع تصريحه

بأنه تجشم ما تجشم مخافة العار ، وأنه كان بين أمرين أحلاهما مر ، فاختر الردى على الفرار ، و آثر ما

لا يعيبه ، على أن الأمر كان فوق مستوى التروي والتفكير " مواقف تنسى دونهن التجارب".

وبذلك يتضح أن ثبات المعتمد كان يأساً من الحياة ، وخوفاً من سوء المصير الذي ينتظره ، أما ثبات

أبي فراس فقد كان خشية العار ، وكبتاً للشانئين والحساد.

## **ب – الأسر وأثاره النفسية عند الشعراء :**

لكل من الشعراء معاناته ، فالمعتمد إنما كان يعاني تقلب الأيام به ، وتنكرها له ، فقد أحالت عزه

ذلاً ، ونعيمه بؤساً ، وغناه فقراً ، وانطلاقه أسراً وحبساً ، وقيداً وغلاً ، بل قيوداً وأغلالاً ، كما أنه كان

يعاني سوء معاملة أعدائه الذين تنكروا له ، فلم يحفظوا له عهداً ولا ذمة ، أما أبو فراس فكانت معاناته مع

ابن عمه سيف الدولة أكثر منها مع الروم.

وتظهر معاناة المعتمد من اللحظة الأولى لقدمه "إغمات" ، فقد أنزلوه بها بلا خباء يأويه أو يستتره

من العيون الرامقة ، فطلب من حواء بنت تاشفين خباءً عارية ، فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء ، فكبر

ذلك على نفسه ، وأحس بالهوان ، فأنشأ يقول<sup>(١)</sup>:

(١) ديوانه ص ٤٠.

أطالوا بها في حشاك استعاراً	هم أوقدوا بين جنبيك ناراً
ك ولم يصحبوك خباءً معاراً	أما يخجل المجد أن يرحلو
ك وحاشاهم منك خزياً وعاراً	فقد قنعوا المجد إن كان ذا
سواد العيون عليكم شعاراً	يقبل لعينيك أن يجعلوا
ر حنيناً إليهم وخضت البحاراً	تراهم نسوا حين جزت القفا
إذا حاد من حاد عنها وجاراً	بعهد لزوم لسبل الوفا

وقد ضيق على المعتمد لدرجة ألجأت إحدى بناته إلى الغزل للناس سدا للجوعة وسترا للعورة ، وقد أدخل عليها فيما أدخل غزل لبنت عريف شرطته ، وكان هذا العريف يقف بين يديه - أيام مجده - يدفع الناس يوم بروزه لهم ، فعز على نفس المعتمد الأبيية ما صار إليه حال بناته ، فقال يخاطب الوزير الأندلسي أبا العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الإشبيلي ، وكان قد زار المعتمد ودعا له بطول البقاء<sup>(١)</sup> :

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى	أسير أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حياة	يطول على الشقي بها الشقاء
أرغب أن أعيش أرى بناتي	عواري قد أضر بها الجفاء
خوادم بنت من قد كان أعلى	مراتبه - إذا أبدو - النداء
وطرد الناس بين يدي ممري	وكفهم إذا غصّ الفناء
وركض عن يمين أو شمال	لنظم الجيش إن رفع اللواء
يعنييه أمّام أو وراء	إذا اختلّ الأمّام أو الورا <sup>(٢)</sup>

وإلى جانب معاناته النفسية وإحساسه بالذل والهوان كان المعتمد يعاني من شدة القيود والأغلال التي أثقلوه بها ، يقول واصفاً أثر القيد في ساقه<sup>(٣)</sup> :

(١) ديوانه ص ٩٧ .

(٢) ديوانه ص ٩٠ .

(٣) يعنيه : يشغله ، يقال : عني فلان بالأمر إذا اهتم وشغل به .

(٤) ديوانه ص ١١١ .

تعطف في ساقى تعطف أرقم

يساورها عضا بأنياب ضغيم

ويقول متحسراً<sup>(١)</sup>:

قد كان كالثعبان رمحك في السورى

فغدا عليك القيد كالثعبان

متمردا يحميك كل تمرد

متعطفاً لا رحمة للعانسي

قلبي إلى الرحمن يشكو بثه

ما خاب من يشكو إلى الرحمن

ولم يكن أمام المعتمد من يشكو إليه سوى ربه ، فيلجأ إليه بالحمد الممزوج بالشكوى ، فيقول<sup>(٢)</sup>:

لك الحمد من بعد السيوف كبول

بساقى منها في السجون حجول<sup>(٣)</sup>

ويوازن في تحسر بين ماضيه وحاضره ، فيقول<sup>(٤)</sup>:

تبدلت من عز ظل البنود

بذل الحديد وثقل القيود<sup>(٥)</sup>

وكان حديدي سناناً ذليقاً

وعضبا رقيقاً صقيل الحديد<sup>(٦)</sup>

فقد صار ذاك وذا أدهم

يعض بساقى عض الأسود<sup>(١)</sup>

---

(١) الذخيرة م ١ ق ٢ ص ٦٢ ، وديوانه ص ١١٥ ، وروايته "متمرد بحذاك".

(٢) ديوانه ص ١١١ .

(٣) الكبول : القيود والأغلال ، والحجول : جمع حجل ، وهو القيد ، يقال : حجل الدابة إذا قيدها بالحجال.

(٤) ديوانه ص ٩٤ .

(٥) البنود : جمع بند ، وهو العلم واللواء والراية ، تكون للقاء أو الفارس.

(٦) ذليقاً : حاداً قاطعاً.

وكان المرابطون قد شددوا عليه في القيود خشية أن يؤدي إفلاته إلى ثورته عليهم ، ومحاولته استرداد ملكه ، أما ما دام المعتمد في أسره فلا خوف من الثورة أو التمرد ، وبخاصة بعد أن قضوا على آخر أمل له بالقضاء على ثورة ابنه عبد الجبار وقتله<sup>(١)</sup>.

أما أبو فراس فكانت معاناته مع ابن عمه أكثر منها مع الروم ، إذا كان يشعر بتباطئه في فدائه ، ويعد ذلك ضرباً من التخاذل وعدم الوفاء ، وكان الروم يؤكدون له ذلك ، ويشجعونه على مكاتبة سيف الدولة ، لأنهم كانوا يرغبون في فداء بعض رجالاتهم ، وفيهم ابن قائدهم بردس ، فلما وقع أبو فراس في أيدي الروم كتب بردس إلى سيف الدولة يسأله المفاداة ، ولكن سيف الدولة لم يسرع إلى إجابته ، فعز ذلك على أبي فراس الذي كان ينتظر غير ذلك ، فإلا يكن ودّ ونسب فمصلحة الإسلام وحاجة الجهاد إليه تقتضي الإسراع في فدائه.

وقد زاد من ألمه النفسي أن يسارع الروم إلى فداء ابن أختهم ولا يسارع سيف الدولة إلى فدائه ، وفي ذلك يقول<sup>(٢)</sup>:

بنى عمنا نحن السواعد والظبا	ويوشك يوماً أن يكون ضراب <sup>(٤)</sup>
وإن رجالاً ما ابنكم كابن أختهم	حريون أن يقضى لهم ويهابوا
فعن أي عذر إن دُعوا ودُعيتم	أبيتم - بني أعمامنا - وأجابوا
وما أدعي ما يعلم الله غيره	رحاب عليّ للعفاة رحاب
وأفعاله للراغبين كريمة	وأمواله للطلابين نهاب
ولكن نبا منه بكفي صارم	وأظلم في عينيّ منه شهاب
فإن لم يكن ودّ قديم نعهده	ولا نسب بين الرجال قراب
فأحوط للإسلام ألا يضيعني	ولي عنك فيه حوطة ومناب

(١) أدهما : قيداً.

(٢) انظر في ثورة عبد الجبار بن المعتمد وقتله : نفح الطيب للمقري ج٢ ص ١١٠٤.

(٣) ديوانه ص ٢٦.

(٤) الظبا : جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) ، وهي حد السيف والسنان والخنجر.



وكان في تأخر سيف الدولة مدعاة لسوء الظن به ، ومدخل كبير لهواجس أبي فراس تجاهه ،  
يقول<sup>(١)</sup> :

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع

وفي كل يوم لفتة وخطاب

فكيف وفيما بيننا ملك قيصر

وللبحر حولي زخرة وعباب

وتبلغ الماساة ذروتها عندما يصله أن سيف الدولة ينسبه إلى الخمول ، ويهون من شأنه ، وذلك أن  
سيف الدولة بلغه أن بعض الأسرى قال : إن ثقل هذا المال على سيف الدولة كاتبنا فيه صاحب خراسان  
وغيره من أصحاب البلدان وخففنا عن الأمير ، فاتهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول لضمائه المال للروم ،  
فقال : ومن أين يعرف أهل خراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس<sup>(٢)</sup> :

أسيف الهدى وقريع العرب

علام الجفاء؟ وفيم الغضب؟

وما بال كتبك قد أصبحت

تنكبي مع هذا النكـب؟

أتنكر أنى شكوت الزمان

وأني عتبتك فيمن عتب؟

فألا رجعت فأعتبتني

وصيرت لي ولقولي الغلب

فلا تنسبني إليّ الخمول

عليك أقمت فلم أعترب

وأصبحت منك فإن كان فضـل

وإن كان نقص فأنت السبـب

وإن خراسان إن أنكـرت

علاى فقد عرفتـها حلـب

ومن أين ينكرني الأبعـدون؟

أمن نقص جد؟ أمن نقص أب ؟

(١) ديوانه ص ٢٧ .

(٢) ديوانه ص ٢٨ .

ألست وإياك من أســــرة

وبيني وبينك فوق النــــب؟

ولا شك أن أبا فراس إلى جانب هذه المعاناة النفسية تجاه خذلان سيف الدولة له كان يعاني ذل

الأسر ومواجهة المجهول ، يقول في إحدى قصائده ومكاتبته لسيف الدولة<sup>(١)</sup> :

دعوتك للجنف القريح المسهد

لدي وللنوم القليل المشــــرد

وما أنا إلا بين أمر وضــــده

يجدد لي في كل يوم مجــــدد

فمن حسن صبر بالسلامة واعدي

ومن ريب دهر بالردى متوعدي

أقلب طرفي بين خل مكبــــل

وبين صفي بالحديد مصفد

وحين ثقلت عليه جراحه كتب في مطلع قصيدة أرسل بها إلى أمه<sup>(٢)</sup> :

مصابي جليل والعزاء جميــــل

وظني بأن الله سوف يديــــل

جراح تحاماها الأساة مخوفة

وسقمان باد منها ودخيل

وأسر أقاسيه وليل نجومــــه

أرى كل شيء غيرهن يــــزول

تطول بي الساعات وهي قصيرة

وفي كل دهر لا يسرك طــــول

ولكنه كان يتجلد ويتصبر حتى لا يثمت به حساده وشانئوه ، يقول<sup>(٣)</sup> :

---

(١) ديوانه ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) ديوانه ص ٢٣٢ .

(٣) ديوانه ص ٣٩ .

وإني لمجزاع خلا أن عزمــــة

تدافع عني حسرة وتغالــــب

ورقبة حساد صبرت لوقعهــــا

لها جانب مني وللحرب جانب

## موازنة :

أ — حين نوازن بين حال المعتمد وحال أبي فراس في أسرها نجد أن المعتمد كان قد تسلل إليه اليأس من النجاة ، وبخاصة بعد القضاء على ولديه الراضي الذي كان على " رندة " وعبد الجبار الذي كان على حصن " أركش " وقتلهما ، وهو ما نلمسه في قوله<sup>(١)</sup> :

أسر وعسر ولا يسر أو مــــله

أستغفر الله كم لله من نظــــر

ومن ثمة جاءت عاطفته هادئة هدوءاً يتناسب وما نظمه من أنات وتوجعات ، أو معاتبات للدهر ،

أو تأملات في حوادثه وصروفه ، على شاكلة قوله<sup>(٢)</sup> :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا

فساءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس ما يملكن قطميرا<sup>(٣)</sup>

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا

فردك الدهر منهيأ ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به

فإنما بات بالأحلام مغرورا

لقد عز عليه حاله وحال بناته يغزلن للناس بعد أن كن مخدمات منعمات ، على أن هذه الحرفة لا تفي بسد جوعتهن أو ستر عورتهن ، وقد برزن إليه يوم العيد في أطمار بالية ، مما جعله يتفجر لوعة وأسى ، ويتذكر تلك الأيام الخوالي موازنا بين حالي الدهر ، يوم أن كان هو الأمر الناهي ويوم أن صار مأموراً

(١) ديوانه ص ١٠٠ .

(٢) ديوانه ص ١٠٠ ، ١٠١ والذخيرة لابن بسام ١م ق ٢ ص ٦١ ، وقلائد العقبان للفتح بن خاقان ص ٢٥ تصحيح محمد الصباغ ط المطبعة الخديوية ببغداد سنة ١٢٨٣هـ .

(٣) الأطمار : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق البالي .

منهيا ذليلا كسيرا ، ويختم أبياته بحكمة مفادها أن من ركن إلى الدهر واغتر بملكه إنما يبيت مغروراً بالأحلام أو الأوهام ، لأن الدنيا لا تدوم على حال ، ولا يثبت لها عهد.

أما أبو فراس فصاحب عاطفة ملتهبة ، جياشة ، متوقدة ، وكانت أشد ما تكون ثورة وتدافعا عندما يشعر بتجاهل سيف الدولة له ، أو عندما يتعرض لشيء من الإذلال والقهر ، على نحو ما كان منه تجاه الدمستق حين قال له وهو في أسره : إنما أنتم كتاب لا تعرفون الحرب ، فرد عليه أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟ ثم أنشأ يقول<sup>(١)</sup> :

أتزعم يا ضخم اللغديد أننــــا

ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا

فويلك من للحرب إن لم نكن لهــــا

ومن ذا الذي يمسي ويضحى لها تريبا

وويلك من أردى أخاك بمرعــــش

وجلل ضربا وجهه والدك العضبــــا<sup>(٢)</sup>

وويلك من خلى ابن أختك موثقــــا

وخلاك باللقان تبتدر الشعبــــا<sup>(٣)</sup>

أتوعدنا بالحرب حتى كأننــــا

وأياك لم يعصب بها قلبنا عصبــــا

لقد جمعتنا الحرب من قبل هــــذه

فكنا بها أسداً وكننت بها كلبــــا

بأقلامنا أجرحت أم بسيوفنــــا

وأُسداً الشرى سقنا إليك أم الكتبــــا

تفاخرنا بالطعن والضرب في الوغــــي

لقد أوسعتك النفس يابن استها كذبــــا

إنه أشبه ما يكون بأسد هصور حبس في قفص حديدي ، وحيل بينه وبين فريسته ، فهو يغلي ويهتاج ، ويثور ، ويكاد يحطم الأسوار والقضبان ، لكن القبضة عليه قوية ، والحصار محكم ، والظروف

(١) ديوانه ص ٤٢.

(٢) جمل وجهه والدك العضا : عمه ضربا بالعضب وهو السيف.

(٣) اللقان : بلدة بالروم وراء خرشنة ، والشعب : الطريق في الجبل ، والمراد أنه فر هاربا.

غير مواتية ، فما كان يملك سوى تفجيرها صرخات شعرية قوية تعادل تلك الشحنات المكبوتة في خلجات نفسه.

وفي ذلك رد واضح على بروكلمان الذي يزعم أن أسر أبي فراس لم يكن له أثر في شعره<sup>(١)</sup>.  
على أنني أؤكد أن بروكلمان قد تعجل في هذا الحكم ، وكاد يتناقض مع نفسه حين ذكر في الترجمة نفسها أن أبا فراس صنع في أسره أشعاراً مؤثرة يشكو فيها لذويه سوء حاله ، ومنها قصيدته التي خاطب به أمه<sup>(٢)</sup>.

ب - أن معاناة المعتمد كانت في يأسه من النجاة ، وفي قيوده وأغلاله ، وما آل إليه حاله في الأسر من الحاجة والعوز ، وهو ما يعبر عنه بقوله<sup>(٣)</sup>:

ذل وفقر أدالا عزة وغنى

نعمى الليالي من البلوى على كثب

وقوله<sup>(٤)</sup>:

وأنا اليوم رهن أسر وفقر

مستباح الحمى مهيض الجناح

وقوله<sup>(٥)</sup>:

وأبقى أسام الذل في أرض غربوة

وما كنت لولا الغدر ذاك أسام

أما أبو فراس فكانت معاناته مع قومه وبخاصة ابن عمه سيف الدولة الذي تباطأ في فدائه أكثر منها مع الروم ، وهو ما يعبر عنه بقوله<sup>(٦)</sup>:

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج٢ ص ٩٣.

(٢) المراجع السابق ج٢ ص ٩٢ ، وهي التي مطلعها :

أيا أم الأسير سقاك غيث بكره منك ما لقي الأسير

ديوانه ص ١٦٢ ، وسيأتي الحديث عنها في المبحث التالي.

(٣) الذخيرة م ١ ق ٢ ص ٦٨.

(٤) ديوانه ص ٩٤.

(٥) الذخيرة م ١ ق ٢ ص ٦٦.

(٦) ديوانه ص ١٨٤.

إذا خفت من أخوالي الروم خطبة  
تخوفت من أعمامي العرب أربعا  
وإن أوجعتني من أعادي شيممة  
لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا

ج - أن الأسر كان قد أخذ من نفس المعتمد ، فاستسلم لقدره المحتوم ، وأخذ يتأسى بروح الحكمة ،  
ويرسلها في طيات شعره ، على شاكلة قوله<sup>(١)</sup> :

أرى الدنيا الدنية لا تواتي  
فأجمل في التصرف والطـلاب  
ولا يغررك منها حسن بـرد  
له علمان من ذهب الذهب  
فأولها رجاء من سـراب  
وآخرها رداء من تـراب

أما أبو فراس فكان يتجلد ويتماسك ، ويظهر اعتداده بنفسه ، ويُري الشامتين أنه لريب الدهر لا  
يتضعع ، وهو ما يلخصه في نحو قوله<sup>(٢)</sup> :

وما غض مني هذا الإسـرار  
ولكن خلصت خلوص الذهب  
وقوله<sup>(٣)</sup> :

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى  
طويل نجاد السيف رحب المقلد  
فإن تفتدوني تفتدوا شرف العـلا  
وأسرع عواد إليها معـود  
وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكم  
فتى غير مردود اللسان ولا اليد

(١) ديوانه ص ٩٣ .

(٢) ديوانه ص ٢٩ .

(٣) ديوانه ص ٨٤ .

يدافع عن أعراضكم بلسانه  
ويضرب عنكم بالحسام المهند  
فما كل من شاء المعالي ينالهها  
ولا كل سيار إلى المجد يهتدي  
وقوله<sup>(١)</sup>:

فإن عدت يوما عاد للحرب والعلا  
وبذل الندى والجود أكرم عائدا  
مرير على الأعداء لكن جواره  
إلى خصب الأكناف عذب الموارد<sup>(٢)</sup>  
منعت حمى قومي وسدت عشيرتي  
وقلدت أهلي غرّ هذى القلائد  
خلائق لا يوجدن في كل ما جد  
ولكنها في الماجد ابن الأماجد

---

(١) ديوانه ص ٨٩.

(٢) الأكناف : جمع كنف ، ويطلق الكنف على جانب الشيء وجواره ، وما يشمله الإنسان برعايته ، يقال: كنف فلانا إذا ضمه إليه وشمله بعنايته ، وكنف الشيء إذا حفظه وصانه ، والمراد أن جاره عزيز مكرم في جواره.

## المبحث الثالث

### أثر الأسر في تشكيل أغراضهما الشعرية

لاشك في أن محنة الأسر وما يكابده الشاعر من آلامها ومعاناتها النفسية إنما تنعكس على تشكيل أغراضه الشعرية ، وتؤثر تأثيرا واضحا سواء في مضمونها أم في معجمها الشعري وبنيتها الأسلوبية ، وهو ما نجده واضحا في شعر الأسر عند أبي فراس والمعتمد بن عباد ، فقد ذهب أكثر شعرهما في الأسر في تصوير المحنة ، وما يتصل بها من معاناة الأسر ، وما يصاحب ذلك من الصلابة والاعتداد بالذات كما نجد في شعر أبي فراس ، أو الرضا بالقضاء وبكاء الحظ العاثر كما نجد في شعر المعتمد.

وقد نبعت سائر أغراضهما الشعرية في الأسر من وحي المحنة وانبثقت من أعماقها على النحو

التالي :

### أ- الرثاء :

والرثاء هو شعر العواطف الأليمة ، والنفوس الجريحة المكلومة ، وقد سئل أحد الأعراب : لماذا تعدون الرثاء أصدق أشعاركم؟ فقال : لأننا نقوله وقلوبنا محترقة<sup>(١)</sup> :

والشاعر الرائي في أسره إنما يبكي مصابه وحاله معا ، ولاسيما إذا كان فقد من فقد يرتبط بتجربة الشاعر ومحنته ارتباطا وثيقا.

ومن هذا اللون قصيدة أبي فراس في رثاء أمه ، فعندما بلغه موتها وهو في أسره أرسلها أنات حزينة ، وحسرات باكية مبكية ، حيث يقول<sup>(٢)</sup> :

أيا أم الأسير سقاك غيث	إلى من بالفدا يأتي البشير؟
إذا ابنك سار في بر وبحر	فمن يدعوه له أو يستجير؟
حرام أن يبيت قريـر عـين	ولو أن يلـم به السرور
وقد نقت الرازيـا والمنايا	ولا ولد لـديك ولا عشير
وغاب حبيب قلبك عن مكان	ملائكة السماء به حضور
أيا أمـاه كم هم طويل	مضى بك لم يكن منه نصير
أيا أمـاه كم سر مصون	بقلبك مات ليس له ظهور
أيا أمـاه كم بشرى بقربي	أنتك ودونها الأجل القصير

(١) انظر : الرثاء في الشعر العربي د / محمود حسن أبو ناجي ص ١١ ط مكتبة الحياة بيروت.

(٢) ديوانه ص ١٦٢ ، ١٦٣ .



إلى من أشتكى؟ ولمن أناجي  
إذا ضاقت بما فيها الصدور؟  
بأي دعاء داعية أوقى؟  
بأي ضياء وجه أستنير؟  
بمن يستدفع القدر الموقى؟  
بمن يستفتح الأمر العسير؟

على أن هذا التدفق العاطفي الفريد كان له روافده ومقوماته ، فقد حبست هذه الأم نفسها على أبي فراس بعد مقتل والده ، فنشأ يتيما في حجرها تتعهد وترعاه ، وتمني نفسها الأمانى ببلوغه حد الشباب ، حتى شب عن الطوق فأبدى شجاعة وفروسية نادرة ، وشاعرية متميزة ، وصار ملء السمع والبصر ، ولكن القدر لم يمهلها فيه كثيرا ، فكانت فجيعتها بأسره ، فانكفأت على أحزانها ، وكان كل أملها أن يبادر سيف الدولة إلى فدائه ، فلم تمل العدو والروح عليه ، تتشفع بل تتوسل راجية أن يسرع في مفاداة فلذة كبدها ، لكن دون جدوى ، وكان ردها خائبة يعد مصابا آخر على نفسية أبي فراس ، وفي ذلك يقول <sup>(١)</sup> :

لولا العجوز بمنـبج ما خفت أسباب المنيه  
ولكان لي عما سألت من الفدا نفس أبيه  
لكن أردت مرادهـا ولو انجذبت إلى الدنيه  
وأرى محاماتي عليـهـا أن تضام من الحميه  
يا أمماه لا تيأسـي لله أطفاف خفيه  
كم حادث عنا جلا هـ ، وكم كفانا من بليه  
أوصيك بالصبر الجميـل فل فإنه خير الوصيه

وبينما هو كذلك يوصيها بالصبر ، ويعيش على الأمل ، وينتظر اليوم الذي يذهب إليها البشير فيه بإطلاق سراحه - يأتيه النذير بخبر وفاتها ، فتظلم الدنيا في عينيه ، فقد ماتت أمه حزينة مقهورة ، وحيل بينه وبين وداعها ، ولا شك أنه عاش بروحه أو تمثل آخر لحظات حياتها ، وهي تلفظ أنفاسها داعية له بانكشاف كربته ، وجلاء غمته ، وإنه ليعيش على أمل استجابة الله لدعائها ، فمن ذا يقوم مقامها في الدعاء له إذا سار في بر أو بحر؟ وبمن يستدفع القدر الموقى؟ وبمن يستفتح الأمر العسير؟ ولمن يشتكى أبو

(١) ديوانه ، ص ٣١٨ .

فراس؟ ومن ينجي إذا ضاقت بما فيها الصدور؟ لا شك أن أبا فراس استرجع أو استحضر كل ذكرياته معها ، فكانت تلك الأنات الحزينة الباكية ، التي تعبر بحرارة وصدق عن نفس جريحة موتورة.

أما المعتمد فكان مصابه في أولاده الذين أعدهم للشدائد والمحن ، بل للملك والسلطان ، فإذا المنية تجهز عليهم واحداً تلو الآخر في وقت هو أحوج ما يكون إليهم.  
ورأى المعتمد وهو في أسره يوماً قمرية حزينة وحيدة فقدت إلفها أو افتقدته، وأمامها وكر فيه طائران يغردان ، فأهاج ذلك أحزانه ، وذكره فقد أبنائه ، فأنشأ يقول<sup>(١)</sup>:

بكت أن رأت إلفين ضمها وكــــر  
مساء وقد أخنى على إلفها الدهــــر  
بكت لم تُرِقْ دمعاً وأسبلت عبــــرة  
يقصّر عنها القطر مهما همى القطــــر  
بكت واحداً لم يشجها غير فقــــده  
وأبكى لألآف عديدهم كثــــر<sup>(٢)</sup>  
بني صغير أو حبيب موافــــق  
يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحــــر  
ونجمان زين للزمان احتواهاــــا  
بقرطبة النكداء أو رندة القبــــر<sup>(٣)</sup>  
غدرت إذا إن صن جفني بقطــــرة  
وإن لومت نفسي فصاحبها الصبــــر  
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معــــي  
لمثلهما فلتحزن الأنجم الزهــــر

ومن ثمّة فإنه لا يقوى على الصبر لفقد أبنائه وفقد آماله ، مع ما صار إليه حاله من الذل والهوان ، يقول في رثاء ولديه المأمون والراضي<sup>(٤)</sup>:

(١) ديوانة ص ٦٨ .

(٢) المراد بالآلآف (هنا) : الأهل والإخوان والأصدقاء ، وكل من يأنس الإنسان بقربه.

(٣) يعني بهذا البيت ولديه الراضي والمأمون.

(٤) ديوانة ص ١٠٥ ، والذخيرة لابن بسام م ١ ق ٢ ص ٦٩ ، وانظر المعتمد بن عباد لعبد الوهاب عزام ص ٩٦ .

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر  
سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري  
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه  
يزيد فهل بعد الكواكب من صبر<sup>(١)</sup>  
هوى بكما المقدار عني ولم أمست  
وأدعى وفيما قد نكصت إلى الغدر  
توليتما والسن بعد صغيرة  
ولم تلبث الأيام أن صغرت قـدري  
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى  
إذا أنتما أبصرتمانى في الأسر  
يعيد على سمعي الحديد نشيده  
ثقيلا فتبكي العين بالجس والنقر  
معي الأخوات الهالكات عليكما  
وأمكما الثكلى المضرمة الصـدر  
أبا خالد أورثتني البث خالداً  
أبا النصر مذ ودعت ودعني النصر<sup>(٢)</sup>

وكأنى بالمتعمد في هذه الأبيات يعزي نفسه ، ويرى أن الموت أرحم من حياة الذل والهوان ، وأن ابنه لو عادا إلى الحياة فأبصرا حاله لاخترارا العود في الثرى على أن يريا أباهما على ما هو عليه من الذل والهوان ، والقيود والأغلال.

ونلاحظ فرقا واضحا بين أبي فراس الذي كان لا يزال معلقا بالأمل في الفداء حيث يقول : "إلى من بالفدا يأتى البشير" ، وبين المعتمد الذي - على ما يبدو- كان قد فقد ما بقى من بصيص أمل بالقضاء على ولديه الراضي وعبد الجبار ، إذ يخاطب ابنه الراضي الملقب بأبي نصر بقوله: "أبا النصر مذ ودعت ودعني النصر".

ومع ذلك فقد ذرف كل من أبي فراس والمعتمد دم قلبه قبل أن يذرف ماء عينه ، فما كان يبكيان مصابا واحداً ، إنما كان يبكيان حفا عاثرا ، ونوائب متتابعة متداخلة ، على حد قول أبي فراس<sup>(٣)</sup>:

(١) رواية الديوان "فهل عند الكواكب من خُبر"، والفتح هو ابنه المأمون ، وكان يكنى بأبي الفتح وأبي نصر، ويزيد هو ابنه الملقب بالراضي.

(٢) البيت : الحزن ، و "أبو خالد" كنية الراضي ، و "أبو النصر" كنية المأمون.

(٣) ديوانه ص ٢٧٥ وبتيمة الدهر ج١ ص ٧٩.

واني لصبور على الرزايا

ولكن الكلام على الكلام<sup>(١)</sup>

جروح ما يزلن يرذن مني

على جرح قرب العهد دام

## ب- الاستعفاف والعتاب والشكوى:

وتتبع هذه الفنون لدى الشاعر الأسير من وحي تجربته ، ولا يكاد يخلو شعر أحد في الأسر من الإمام بطرف منها ، وإن تباينت طرائقهم وتفاوتت درجات تناولهم لهذه الفنون ، فقد يغلب على أحدهم طابع العتاب ، ويغلب على آخر جانب الشكوى ، وعلى ثالث الاعتذار والاستعفاف ، وفق الظروف المحيطة بأسر كل منهم ومدى صلابة نفسية الأسير أو ضعفه وتهالكه على النجاة بنفسه.

أما أبو فراس فقد غلب عليه جانب العتاب ، لأنه كان يرى أن روابط القربى والنسب بينه وبين سيف الدولة توجب له حقا في المفاداة ، وأن سيف الدولة مقصر في حقه ، متباطئ في فدائه ، غير مقدر ولاءه له أو بلاءه في سبيل توطيد أركان ملكه ، ومن ثمة كان أبو فراس كثيراً ما ينحو منحى العتاب تجاه ابن عمه ، ومن ذلك قصيدته التي أرسلها إلى سيف الدولة معاتبا ، وكان قد بلغه أن أمه ذهبت من منبج إلى حلب تكلم سيف الدولة في مفاداته فردها سيف الدولة خائبة ، فبعث إليه بقصيدة يقول فيها<sup>(٢)</sup>:

بأي عذر رددت والهبة

عليك دون الورى معولها<sup>(٣)</sup>

جاءتك تمتاح رد واحدها

ينتظر الناس كيف تقفلها<sup>(٤)</sup>

إن كنت لم تبذل الفداء لها

فلم أزل في رضاك أبذلها

تلك المودات كيف تهملها؟

تلك المواعيد كيف تغفلها؟

تلك العقود التي عقدت لنا

(١) الكلام (بكسر الكاف) : الجراح.

(٢) ديوانه ص ٢٤٣.

(٣) والهبة : حزينه.

(٤) تمتاح : تطلب ، يقال : امتاح فلانا : إذا أتاه يطلب فضله.

كيف وقد أحكمت تحلله\_\_\_\_\_؟

أرحامنا منك لِمَ تقطّعه\_\_\_\_\_

ولم تزل دائبًا توصله\_\_\_\_\_؟

أين المعالي التي عرفت به\_\_\_\_\_

تقولها دائما وتفعلها\_\_\_\_\_؟

ويبلغه أن سيف الدولة عاتب عليه تعجله في طلب الفداء ، فيشتاط غضبا وحسرة وأسى ، ويرى أن سيف الدولة أولى بهذا العتاب منه ، فيكتب في قصيدة تكاد تتفجر من التدفق العاطفي والألم الذي يعتصر نفس أبي فراس ، حيث يقول <sup>(١)</sup> :

زمانى كله غضب وعتب\_\_\_\_\_

وأنت علىّ والأيامِ إليّ\_\_\_\_\_ <sup>(٢)</sup>

وعيش العالمين لديك سهل\_\_\_\_\_

وعيشي وحده بفناك صعب\_\_\_\_\_

وأنت وأنت دافع كل خطب\_\_\_\_\_

مع الخطب الملم عليّ خطب\_\_\_\_\_

إلى كم ذا العقاب وليس جرم\_\_\_\_\_

وكم ذا الاعتذار وليس ذنب\_\_\_\_\_؟

فلا بالشام لذا بفيّ شرب\_\_\_\_\_

ولا في الأسر رق عليّ قلب\_\_\_\_\_

فلا تحمل على قلب جريح\_\_\_\_\_

به لحوادث الأيام نمدب\_\_\_\_\_

أمثلى تقبل الأقوال في\_\_\_\_\_

ومثلك يستمر عليه كمدب\_\_\_\_\_؟!

غير أنه يعود فيتذكر حاجته إلى سيف الدولة ، وأن أمر فدائه معلق برضاه ، فيبرق ويستعطف ،

على شاكلة قوله <sup>(١)</sup> :

---

(١) ديوانه ص ٣١ .

(٢) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان ، يريد أبو فراس أن يقول لسيف الدولة : لا تكن أنت والأيام عليّ ، فيكفي ما نالنى من الأيام والقدر المحتوم .

هل تعطفان على العليل	لا بالأسير ولا القتيـل
باتت تقبله الأكمـ	ف سحابة الليل الطويل
يرعى النجوم السائرا	ت من الطلوع إلى الأفول
يا فارح الكرب العظيـ	م وكاشف الخطب الجليل
كن يا قوى لذا الضعيـ	ف ويا عزيز لذا الذليل
قربه من سيف الهدى	في ظل دولته الظليل
أو ما كشفت عن ابن دا	ود ثقلات الكبـول <sup>(٢)</sup>
الله يعلم أنه	ألمي من الدنيا وسؤلي <sup>(٣)</sup>
ولئن حننت إلى ذراه	لقد حننت إلى وصول
لا بالغضب ولا الكـذو	ب ولا القطوب ولا المـلـو
يا عدتي في النائبا	ت وظلتي عند المقيـل
أين المحبة والذما	م وما وعدت من الجميل؟

أما المعتمد بن عباد فلم يكن لديه من يؤمل فيه نجدة أو نصرة ، كما أنه كان على يقين بأن المرابطين لن يطلقوا سراحه مهما اعتذر أو استعطف ، وكان أقصى ما يؤمله هو أن يجد شيئا من المعاملة الكريمة ، لكنهم كانوا يعملون دائما على إضعاف روحه ، وكسر شوكته النفسية ، وتحطيم إرادته ، حتى لا يخطر بباله مجرد التفكير في الخلاص من قبضتهم ، فانكأ الرجل على نفسه ، يشكو حاله ، ويأسى لصروف الدهر وتقلباته ، فنراه يتوجه بالشكوى إلى قيده الحديدي يستعطفه ويسترحمه ، وربما وجد فيه من الرحمة ما لا يجده عند القاسية قلوبهم ، فيقول<sup>(٤)</sup> :

قيدي أما تعلمني مسلمـا  
أبيت أن تشفق أو ترحمـا  
دمي شراب لك واللحم قـد  
أكلته لا تهشم الأعظمـا

(١) ديوانه ص ٢٣٥ .

(٢) ابن داود : هو أحد الذين افتداهم سيف الدولة من الأسر .

(٣) سولي : موضع سؤالي ، وخفف لضرورة الشعر .

(٤) ديوانه ص ١١٢ .

يبصرني فيك أبو هاشم

فينثني والقلب قد هشما<sup>(١)</sup>

ارحم طفيلًا طائشا لبه

لم يخش أن يأتيك مسترحما

وارحم أخيات له مثله

جرعتهن السم والعلقه

ولعله كان يؤمل من وراء مخاطبة هذا الجماد أن يتحرك أو يرق له قلب ما تزال فيه بقية من

الرحمة أو الإنسانية ، ولكن هيهات ، إنها السياسة التي لا تعرف شفقة ولا رحمة.

فلما لم يجد شفقة لا في قيده ولا في بني البشر عمد إلى شكوى الدهر ومعاتبته ، على شاكلة قوله<sup>(٢)</sup> :

أبى الدهر أن يقنى الحياء ويندما

وأن يمحو الذنب الذي كان قدما

وأن يتلقى وجه عتبي وجهه

بعذر يغشى صفحتيه التذمما

وقوله<sup>(٣)</sup> :

قبح الدهر فماذا صنعما

كلما أعطى نفيسا نزعما

قد هو ظلما بمن عاداته

أن ينادي كل من يهوي لعما<sup>(٤)</sup>

من إذا قيل الخنا صم وإن

نطق العافون همسا سمعما

قل لمن يطمع في نائله

قد أزال اليأس ذاك الطمعما

راح لا يملك إلا دعومة

جبر الله العفاة الضيعما

(١) أبو هاشم بن المعتد ، وكان صبيا ، وقد دخل على أبيه فرآه في قيوده ، فعزت على المعتد نفسه فأنشأ هذه الأبيات.

(٢) ديوانه ص ١١٤ .

(٣) ديوانه ص ١٠٨ .

(٤) يهوي : يسقط. لعا : كلمة تقال للعائر دعاء له بالإقالة من عثرته ، والمراد أنه كان يغيب الملهوف.

وبعد أن أوصدت الأبواب كلها دونه ، وانقطع به الأمل في رحمة البشر ، لم يجد سوى باب واحد لا يغلق أبداً ، هو باب اللطيف الخبير ، الرءوف الرحيم ، فلجأ إليه بشكواه ، فهو وحده القادر على كشف الضر عنه ، يقول<sup>(١)</sup> :

قلبي إلى الرحمن يشكو بثه

ما خاب من يشكو إلى الرحمن

## ج - الإخوانيات

الأسر محنة تظهر فيها معادن الأصدقاء والإخوان على حقيقتها دون تجمل أو تزييف ، وقد كان إخوان المعتمد أوفياء له ، حريصين على مودته في محنته ، وذلك لأن المعتمد كان كثير الاحتفاء بإخوانه ، محبا للأدباء والشعراء ، يقربهم ويغدق عليهم ، ويدني مجلسهم منه ، مما أشعرهم بهول الفاجعة<sup>(٢)</sup> . وقد زاد من شدة إحساسهم بالفاجعة ووفائهم للمعتمد ما آل إليه حالهم أيام يوسف بن تاشفين الذي كان يرى الشعراء مجموعة من المتسولين ، لا يعرفون غير التكسب ، ولا يبحثون إلا عن لقمة الخبز<sup>(٣)</sup> ، فكان في تقويض ملك المعتمد تقويض لمكانتهم .

وقد وفى للمعتمد في أسره شعراء كثيرون ، وتحمل بعضهم مشقة السفر إلى "أغمات" مخاطراً بنفسه لزيارة المعتمد ومواساته في محنته ، ومن هؤلاء الشعراء ابن اللبانة ، وابن حمديس ، وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم عم الحجاري صاحب المسهب ، وغيرهم<sup>(٤)</sup> .

وقد زاروه زيارة وفاء لا زيارة استجداء ، فماذا كان يرجى من أسير مكبل في أغلاله ؟ وكان المعتمد يقدر لهم وفاءهم ، ويتمنى أن لو كان في يده ما يكافئهم به ، فعندما زاره ابن اللبانة في أغمات ، وحن وقت رحيله عنه ، وعلم المعتمد أنه عزم على الرحيل صرف حيله ، واستنفد ما كان من المال قبله ، وبعث إليه بعشرين مثقالاً مرابطية وثوبين غير مخيطين ، وكتب معهما أبياتا ، منها<sup>(٥)</sup> :

إليك النزر من كف الأسير

فإن تقبل تكن عين الشكور

تقبل ما يذوب له حياء

(١) ديوانه ص ١١٥ .

(٢) راجع الذخيرة م (١) ق (٢) ص ٤٦ ، ص ٧٧ وما بعدها ، والحلة السيرة لابن الأبار ج ٢ ص .

(٣) انظر المعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ٢٦٦ .

(٤) انظر : المعتمد بن عباد لعبد الوهاب عزام ص ٧٢ وما بعدها ، والمعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ٣٢٦ .

(٥) ديوانه ص ١٠٢ .



وإن عذرتة حالات الفقير  
ولا تعجب لخطب غض منه  
أليس الخسف ملتزم البـدور؟

فرد ابن اللبانة الصلة إشفاقا عليه ، وأجابه بقوله<sup>(١)</sup> :

سقطت من الوفاء على خبيـر  
فذرني والذي لك في ضميـري  
تركت هواك وهو شقيق ديني  
لئن شقت برودي عن غـدور  
ولا كنت الطليق من الرزايـا  
إذا أصبحت أجحف بالأسـير  
أنا أدري بفضلك منك إنـي  
لبست الظل منه في الحـرور  
غني النفس أنت وإن أـحت  
على كفيك حالات الفقير  
تصرف في الندى حيل المعالـي  
فتسمح من قليل بالكثيـر  
ويبكي ابن اللبانة على أيام المعتمد متحسراً على ما ذهب بذهابها ، فيقول<sup>(٢)</sup> :  
انفض يديك من الدنيا وساكنهـا  
فالأرض قد أفقرت والناس قد ماتوا  
وقل لعالمها السفلى قد كتمـت  
سريرة العالم العلوي أغمـات

وهكذا كانت علاقة المعتمد بسائر إخوانه علاقة ود ووفاء وإخلاص<sup>(٣)</sup> :

---

(١) الذخيرة م (١) ق ٢ ص ٦٢ .

(٢) الذخيرة م (١) ق ٢ ص ٦٣ .

أما أبو فراس فكان تياها بنفسه متعاليا ، مما خلق حوله مجموعة من الحساد والشانئين ، فما إن تنكرت الأيام له حتى أخذوا يفندون رأيه ، ويحملونه وحدة تبعة ما أصابه ، وانبرى هو لهم يذم فيهم الغدر والخيانة والتقلب مع الأيام حيث كانت ، وكان لتباطئ سيف الدولة في فدائه أثر كبير في تعميق هذا الشعور في نفسه ، وفي ذلك يقول<sup>(١)</sup> :

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه

ومن أين للحر الكريم صحاب ؟

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم

ذنبا على أجسادهم ثياب

ويقول<sup>(٢)</sup> :

أما صاحب فرد يدوم وفاؤه

فيصفي لمن أصفى ويرعى لمن رعى

أفي كل دار لي صديق أوده

إذا ما تفرقنا حفظت وضعنا

ويقول<sup>(٣)</sup> :

أقلب طرفي لا أرى غير صاحب

يميل مع النعماء حيث تميّل

وصرنا نرى أن المتارك محسن

وأن صديقا لا يضر خليّل

أكلّ خليل هكذا غير منصف

وكلّ زمان بالكرام بخيّل

---

(١) انظر المعتمد بن عباد لعبد الوهاب عزام ص ٧٢ والمعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ٣١٢ وما بعدها.

(٢) ديوانه ص ٢٥.

(٣) ديوانه ص ١٨٤.

(٤) ديوانه ص ٢٣٢.

وقد علت هذه النبيرة في شعر أبي فراس ، وترددت في مواضع كثيرة منه<sup>(١)</sup> ، مما يدل على عمق  
المأساة في نفسه ، وخيبة أمله في إخوانه وأصدقائه.

على أننا لا يمكن أن نعفي الشاعر من تبعة ذلك ، أو أن نلقى باللائمة على إخوانه وأصدقائه وحدهم ،  
فقد كان أبو فراس متعالياً ، شديد الاعتداد بنفسه ، لا يكاد يرى أحداً غيرها حتى في أسره ومحنته ، مما  
أوغر قلوب كثيرين عليه ، وأكثر من حساده وشائئيه ، حتى ذهب بعض الكتاب إلى أن سيف الدولة نفسه  
ربما تباطأ في فدائه لأنه "شام منه طموحا كبيراً ، وأحس منه طمعا في الملك ، وتريب من إدلاله وزهوه  
وشجاعته ، فرأى أن يمد في أسره ليكسر من شكوته ، ويحط من غلوائه ، ويأمن شره"<sup>(٢)</sup>

د - كان للتجربة أو المحنة أثرها وانعكاسها على بناء القصيدة عند الشعارين ، فقد خرجت أكثر أشعارهما  
في الأسر على النمط التقليدي لبناء القصيدة القديمة ، واتسمت بالوحدة الموضوعية ، وبوضوح الفكرة ،  
وسلامة العبارة وصفائها ، والبعد عن التكلف والتعقيد ، مع انسياب عاطفة قوية متدفقة ، شائرة ملتهبية  
عند أبي فراس ، وهادئة رزينة عند المعتمد ، إضافة إلى معجم شعري مفعم بألفاظ الأسى والحسرة ، تنبثق  
مفرداته من روح التجربة بذلها وقهرها ، وقيوها وأغلالها ، وتعبر عن حالة الشعارين النفسية بأحزانها  
وأشجانها.

(١) انظر ديوانه ص ٣٦ ، ٥٧ ، ٨٧ ، ٩٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ص ٦٤٨ .

## خاتمة

من خلال دراستي لشعر الأسر بين أبي فراس والمعتمد أسجل النقاط التالية :

أ- أن كلمة " الأسر " كانت تتناوب دلالياً مع كلمتي " الحبس والسجن " ، وظل الترادف اللغوي بين الألفاظ الثلاثة ملحوظاً وجارياً في الاستعمال حتى نهاية العصر الأموي ، فلما جاء العصر العباسي أخذت كلمة أسير تختص بالذين يأخذون قسراً في حرب أو نحوها ، والسجين والحبيس بمن تعتقله السلطة .

ب- أن شعر الأسر يعد من أهم الأغراض الشعرية التي تسير أغوار النفس الإنسانية ، وتعكس تجربة الشاعر في محنته بعيداً عن التصنع أو التجمل والتزييف .

ج- أن كلا من أبي فراس والمعتمد لم يؤسر عن ضعف أو استسلام ، فقد ألقى كل منهما على الموت بنفسه ، وقاتل قتال الأبطال مؤثراً المنية على الدنية ، لكن القدر المحتوم كان لهما بالمرصاد ، حيث لا ينجي إقدام ولا حذر من القدر .

د - كان لكل من الشعاعين في أسره معاناته الخاصة ، فالمعتمد كان يعاني من تنكر الأيام له ، وتقبلها به ، مع يأسه وانقطاع أمله في النجاة ، وما آل إليه حاله وحال بناته من الذل والفقر ، والحاجة والعوز ، وثقل القيود والأغلال عليه ، وتساقط أبنائه الواحد تلو الآخر على أيدي المرابطين .

أما أبو فراس فكانت معاناته مع ابن عمه سيف الدولة أكثر منها مع الروم ، فكان يرى في تباطئ سيف الدولة في فدائه لونا من التنكر وعدم الوفاء له ، ويبدو أن الروم كان يستغلون ذلك للنيل من إباء أبي فراس وشممه ، ويعملون على كسر شوكته وتحطيم نفسيته ، فلو كان له من المكانة ما يدعى لبادر ابن عمه إلى فدائه .

هـ- أن أسر الشعاعين كان له أثره الواضح في تشكيل أغراضهما الشعرية ، فقد نبعت أشعارهما في هذه المرحلة من وحي التجربة وأعماق المحنة ، ودارت حولها أو لبست لونها ، فكان العتاب والشكوى ، وبعض الإخوانيات سواء أكانت على سبيل الوفاء كما في شعر المعتمد أم على سبيل ذكر مواقفهم السلبية من التنكر وعدم الوفاء ، والتقلب مع الأيام ، أو الحقد والحسد والشماتة ، أو اللوم والتعنيف ، وهو ما كان من أبي فراس .

كما نجد في شعرهما في الأسر الرثاء الحار الذي يبكي فيه الشاعر حاله قبل أن يبكي فقيده ،  
بكاء يصدر عن نفس جريحة مكلومة ، ويعبر عن واقع مر وصدمة قاسية يعاني فيها الشاعر ألم  
الأسر وألم الفقد معا.

و – أن هذه المحنة كان لها أثرها الواضح في إنكفاء جذوة الشعر وتوقدها عند الشعارين ، وقد أسهمت  
بوضوح في بروز شاعريتهما ، وحفر اسميهما في سجل الشعر العربي وشعرائه البارزين.

## أهم المصادر والمراجع

- ١- الأسر والسجن في شعر العرب : تاريخ ودراسة د / أحمد مختار البزرة ، ط مؤسسة علوم القرآن دمشق - بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢- تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ط المطبعة البوليسية - بيروت ، بدون تاريخ.
- ٣- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ترجمة د / عبد الحلیم النجار ، ط دار المعارف ١٩٧٧م.
- ٤- الحلة السیراء لابن الأبار تحقيق د / حسین مؤنس ، ط دار المعارف سنة ١٩٨٥م.
- ٥- دیوان أبي فراس ، ط دار صادر بیروت ، بدون تاریخ.
- ٦- دیوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية / جمع وتحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجید، مراجعة د / طه حسین ، ط المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥١م.
- ٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة بیروت سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٨- عصر الدول والإمارات "الأندلس" د/ شوقي صيف ، ط دار المعارف سنة ١٩٩٩م الطبعة الثالثة.
- ٩- عصر الدول والإمارات (مصر - الشام) د / شوقي ضيف ، ط دار المعارف سنة ١٩٨٤م.
- ١٠- قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، تصحيح محمد الصباغ ، ط المطبعة الخديوية ببولاق سنة ١٢٨٣هـ.
- ١١- المعتمد بن عباد لعلي أدهم ، ط وزارة الثقافة بالقاهرة (سلسلة أعلام العرب : العدد الثاني).
- ١٢- المعتمد بن عباد الملك الجواد المرزأ لعبد الوهاب عزام ، ط دار المعارف سنة ١٩٧٦م.
- ١٣- نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ، ط دار المطبعة الأميرية سنة ١٢٧٩م.
- ١٤- وفيات الأعيان لابن خلكان / تحقيق إحسان عباس ، ط دار صادر بیروت سنة ١٩٧٠م.
- ١٥- يتيمة الدهر للثعالبي ، تحقيق د / مفید قمیحة ، ط دار الكتب العلمية بیروت سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.